المصـــــدر : الجزيرة

التـــاريخ : 23-03-2006 العـــدد : 12229

الصفحـات : 35 المسلسل : 303

## زيارات الملك عبدالله للشرق ودروس في الذكاء الجمعي!

# نُدين تفكيرنا الجمعي أم نُزيد ذكاءنا الجمعي؟

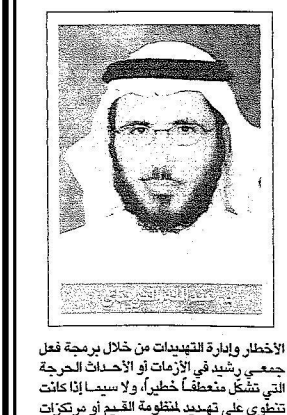

**لماذا نزيد ذكاءنا الجمعي؟**

هجاء التفكير الجمعي وشتمه - كما يفعل بعض مفكرينا - لا يمكن أن يلغي حقيقة وجوده وحتمية تأثيره بشقه السلبي على المجتمعات الإنسانية. وأحسب أن ذلك الأسلوب (الهجائي) فضلاً عن تسطّحه فلسفياً ومنهجياً، فإنه لا يحقق لنا الكثير من المكاسب، سوى ما ينطوي عليه من بعض الفوائد في الحد من غلواء التفكير الجمعي، والتقليل من هيمنته على عموم الناس، والنيل من (هيبة) الاعتراض على إطاره الفكري والمؤسسي، غير أن هذا الكسب يمكننا تحقيقه وبشكل أفضل مع الاعتراف بظاهرة التفكير الجمعي ومحاولة التعمق في ديناميكياته في المجتمعات العربية المعاصرة ودرجة تأثيره على مختلف الشرائح الاجتماعية والعمرية؛ لنكون قادرين لا على التقليل من آثاره السلبية فقط بل وعلى زيادة الذكاء الجمعي، وهو رهان نهضوي يجب كسبه!

ثمة عوامل متعددة تدعوننا للتشديد على تفتيق أذهاننا من أجل زيادة مستويات الذكاء الجمعي لمجتمعاتنا العربية. تلك العوامل كثيرة غير أنه يسعنا الوقوف عند الأهم مع التركيز على العوامل التي لم تنل منا اهتماماً يذكر، أو تلك العوامل التي لها أهمية كبيرة في المرحلة الصعبة التي نجتازها. أي أننا ستكثّف حديثنا على العوامل التي تدفعنا إلى زيادة الذكاء الجمعي مع الاعتراف بظاهرة التفكير الجمعي وحتمية معالجته في سياقاته الثقافية والسياسية من أجل توجيهه وتقليل مثالبه والإفادة من برمجته وآليات عمله في زيادة ذكائنا الجمعي:

١- العمل على زيادة الذكاء الجمعي يمكّننا من رفع فعاليتنا على تطبيق مراحل الهندسة الاجتماعية (التشخيص، الهندسة، البناء، الحماية، الإبداع) بشكل تكاملي، ذلك أن زيادة الذكاء تتطلب مشاركة مختلف المفكرين وجميع الفعاليات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، كل في مجالاته ووفق منهجيته وقدراته ومهاراته مع التأكيد على ضرورة الاتصاف بسمة النقد والتطوير الدائم في طرائق التفكير ومداومة النقاش والتطارح حيال ذلك.

٢- الذكاء الجمعي المرتفع يمكّننا من تفعيل استخدام التفكير الاستبصاري بأركانه الأربعة: تحديد الحدث الحرج والفعل الحرج والزمن الحرج والمكان الحرج، وتطبيقه على نحو أوسع وأعمق.

٣- ترسيخ الممارسة الإبداعية في بلورة خطط الهندسة الاجتماعية وتنفيذ برامجها مما يضمن تحقيق أكبر قدر ممكن من النجاح، ولا سيما لدى الشرائح الأقل نضجاً أو الأضعف قدرة أو في المجالات الأكثر تعقداً أو تخلّفاً.

٤- ترشيد (الفعل الثقافي) تجاه السياسي، وترشيد (الفعل السياسي) تجاه الثقافي، إذ يحصّن الذكاء الجمعي كل طرف من التورط في بعض مثالب (الهندسة الاجتماعية الغبية) أو الانغماس في خطاياها أو الدخول في نوع من الصراع المخفي أو المعلن، ذلك الصراع الذي قد يؤثر على السلّم الاجتماعي ويوتّر المشهد الثقافي، مما يبدّد الطاقات الإبداعية المخزونة.

٥- رفع فعالية المجتمع في مجال التخطيط للمستقبل؛ فالمجتمعات الأكثر ذكاءً تحقنُ أوردة الأفراد بكميات كافية من (القلق الحميد) تجاه المستقبل؛ على نحو يدفعها إلى الاستعداد الذكي للمستقبل وصناعة بدائل وتحالفات استراتيجية، بعد الإيمان بأنه يسعها تشكيل مستقبلها وفق إرادتها ورغباتها وذلك في ضوء مشيئة الله تعالى الغالبة وتوفيقه ورعايته الشاملة.

٦- زيادة قدرة المجتمع على اهتبال الفرص التي قد يقذف بها رحمُ المستقبل، إذ يتميز المجتمع الأكثر ذكاءً بأنه ينطوي على تفكير جمعي يمدُّ المجتمعَ بالأدوات الأساسية للتعاطي مع تلك الفرص من خلال القيام باستجابات مبدئية (سريعة): استجابات تضمنُ (حَجزَ) تلك الفرص للإفادة منها بطريقة أو أخرى، عاجلاً أو آجلاً. أما المجتمعات الأقل ذكاءً فتتيح عدداً من الفرص بل والفرص الذهبية أن تغرق إلى فضاء (الفرص المهدرة) أو دائرة (الفرص الغامضة) أي التي تتسم بدرجة عالية من عدم التأكد من نتائجها، وهذا غطاء أو مبرر مقنع لدى تلك المجتمعات بجعل تلك الفرص تمر مرور السحاب!

٧- تطوير إمكانات المجتمع في معالجة الأخطار وإدارة التهديدات من خلال برمجة فعل جمعي رشيد في الأزمات أو الأحداث الحرجة التي تشكّل منعطفاً خطيراً، ولا سيما إذا كانت تنطوي على تهديد لمنظومة القيم أو مرتكزات الأمن أو الأهداف المحورية للمجتمع.



**زيارة الملك عبدالله ودروس في الذكاء الجمعي!**

يمكننا في سياق حديثنا عن فوائد الذكاء الجمعي الإشارة إلى جملة من التطبيقات العملية التي تجلّي لنا بعض أبعاد الذكاء الجمعي، وتؤكد على إمكانية زيادته وتعظيم ثمراته من خلال العمل المشترك الناضج بين السياسي والثقافي، ولا سيما أننا نبشّر بمرحلة جديدة في مجتمعاتنا العربية: ننعتق بها من (طفولة السياسية) إلى (رشد الثقافة)، إذ نتطلع إلى أن نصل إلى نهاية التلاوم (السلبي) والعراك الحزبي المقيت والشك والتوتر المَرضي بين السياسي والثقافي؛ لنتجاوز ذلك كله إلى مرحلة الهم النهضوي المشترك، لا بل والبناء النهضوي المشترك!

وحتى لا نطيل نكتفي بإيراد بعض التطبيقات العملية التي حرصنا على انتقائها من المشهد السياسي الثقافي السعودي - كنموذج للمجتمعات العربية - مع تسليط بعض الأضواء على الممارسات الذكية التي أديت فعلاً.

المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 23-03-2006 العـــدد : 12229
الصفحـات : 35 المسلسل : 303

والممارسات الذكية التي كان ينبغي أن تؤدى. ويضاف إلى ما سبق أننا سنلتقي بعض الأحداث (الطازجة)، علّه يكون لتحليلنا ثمرات عملية تقطفها قريباً.

دعونا نبدأ بمسألة الشراكة والتحالفات الاستراتيجية الجديدة التي أرسى أسسها خادمُ الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله وسدده - بزياراته التاريخية إلى كل من: الصين والهند وماليزيا والباكستان التي بدأت في أواخر ذي الحجة ١٤٢٦هـ. تلك الزيارات التي يتعين أن ننظر لها لا على أنها زيارات تستهدف توقيع بعض الاتفاقيات الاقتصادية والسياسية، بل يتعين اعتبارها نهجاً استراتيجياً جديداً في بناء تحالفات استراتيجية وصداقات حضارية، ذلك النهج يتوجب على مؤسسات المجتمع وفعالياته المختلفة أن تعمل بكل جد على إنجاحه وترسيخه.. وهذا يتطلب تنقيباً متعمقاً في الحقريات الحضارية لتلك الدول، وخصوصاً الحضارة الصينية والهندية باعتبارها حضارات (غير مستكشفة) من قبلنا، كما يقضي بالعمل على مد خيوط التعاون وجسور الإثراء في المجالات العلمية والتقنية والاقتصادية مع تلك الدول. ومثل هذه الممارسات التي تطالب مؤسسات المجتمع وفعالياته أن تقوم بها إزاء التحركات الاستراتيجية الجديدة، تلك الممارسات يمكننا اعتبارها مؤشرات أساسية لقياس درجة الذكاء الجمعي للمجتمع السعودي - باعتباره نموذجاً للمجتمع العربي - من خلال عملية قياس حجم الصداقة واتساع نطاق الشراكة وعمق الثقة التي تربطنا بأصدقائنا في تلك الدول، إذ يمكننا قياسها الآن وبعد فترات زمنية محددة (خمس سنوات، عشر سنوات، وهكذا) لإجراء دراسات تحليلية ومقارنات كمية لنكتشف مستوى التقدم الذي حققناه في هذا المجال الاستراتيجي، مع وجوب تركيزنا على التقدم الذي حصل بإسهام مباشر من خلال الذكاء الجمعي، أي النتائج التي تحققت بفعل الذكاء الجمعي المنبثق عن التفكير الجمعي دون أن يكون للسياسي دور مباشر في توجيه الفعل الثقافي والمزاج الاجتماعي والمكنة الاقتصادية.

ومن المؤشرات الجيدة التي تبعث على التفاؤل بفعالية الذكاء الجمعي المتزايدة لدينا أن أحد أصدقائي الأكاديميين أخبرني قبل نحو ثلاثة أشهر أنه قد بعث ابنه (البكر) ليدرس في الصين وباللغة الصينية بعد أن تخرج من الثانوية، وقد سألته عن السبب الذي حمله على ذلك، فقال لي: الصينيون هم أصدقاء الغد، ولا بد من توثيق العلاقة معهم والتعرف عليهم عن كثب. وقد ذكر لي ذلك الصديق بأنه كان يتوقع أن يكون ابنه هو الطالب السعودي الوحيد في العاصمة الصينية، ليحقق هو وابنه السبق في ذلك، إلا أنه اكتشف بأن ثمة مَن سبقه، فقد بادر بعض المثقفين ورجال الأعمال إلى إرسال أبنائهم إلى الصين للمهمة ذاتها... أليس جميلاً أن يصدر مثل هذا الفعل الرشيد من المجتمع دون تدخل أو تشجيع مباشر من قبل الحكومة وأجهزتها، إذ لم نلحظ أن وزارة التعليم العالي قد مارست أي لون من الدعوة إلى الابتعاث إلى بعض الدول كالصين مثلاً. ألا يمكن أن يؤكد ذلك على درجة من الذكاء الجمعي، وأنه يمكن لنا أن نحيل ذلك إلى لون من التفكير الإيجابي الآخذ بالتشكل وربما يصل إلى تفكير جمعي بعد بذل شيء من الجهد الثقافي في ترسيخه والدعوة إليه... حقاً إننا لا نبالغ حين نقرر بأنه يسعُ (الثقافي) أن يبادر وأن يشق طريقاً بل طرقاً تساند (السياسي) في مهمته الاستراتيجية وتعينه في وظيفته العسيرة، ليعزز ذلك ثقافة الهم والبناء النهضوي المشترك...

هذه بعض الفوائد التي يمكننا جنيها إن نحن اعترفنا بحتمية وجود التفكير الجمعي وحتمية تأثيره، وامتلكنا القدرة على التعرف على شفرات الذكاء الجمعي الذي يمكّن أن يعيننا على تحقيق القفزة النوعية في هندسة مجتمعاتنا العربية! لكن سؤالاً مهماً يبقى دون إجابة مباشرة وهو: كيف يمكننا زيادة الذكاء الجمعي من خلال التعاطي مع التفكير الجمعي؟ نعالج ذلك السؤال في مقال قادم بمشيئة الله تعالى.

---

* كاتب وأكاديمي سعودي
beraidi2@yahoo.com